النبر في العربية

الدكتور / عبد القادر مرعى الخليل
جامعة مؤتة - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
قسم اللغة العربية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فقد تقدمت الدراسات الصوتية في هذا العصر ، وتعددت مناهجها ووسائلها، واتجه الباحثون المحدثون عربا ومستشرقين إلى البحث في أصوات العربية ووظائفها ودلالاتها ، وغير ذلك مما اصطلح على تسميته بعلم الأصوات.

كما تعددت الظواهر اللغوية التي بحثها المحدثون ، وكان منها ظاهرة النبر التي هي موضوع هذا البحث المتواضع ، وقد رأيت بداية أن أعرض لمصطلح النبر عند علماء العربية المحدثين ، حيث أجمعت تعريفاتهم في أن النبر يقتضي جهدا إضافيا يقوم به المتكلم ليجعل أحد مقاطع الكلمة أوضح في السمع من سواه.

ثم انتقلت بعد ذلك لأبيّن آراء الباحثين حول وجود النبر في العربية الفصحى، وانتهيت إلى أن الحكم بوجود النبر في العربية يعدّ أمرا صعبا لأن دراسة هذه الظاهرة تقوم على السماع ، ولا نعرف كيف نطق العرب القدماء باللغة في ذلك الوقت ، مع أن بعض الباحثين يقول بوجود النبر في العربية

القديمة.

وبعد ذلك تحدثت عن مواضع النبر فى العربية المعاصرة ، وكان من الطبيعى أن يكون هناك بعض الاختلافات فيها ، لأن كلّ باحث يضع القواعد بناء على تجاربه الخاصة وضمن بيئة خاصة .

وأخيرا عرضت وظائف النبر على المستوى النحوى والصرفى ، ثم على مستوى موسيقى الشعر ، وانتهيت إلى القول بأن للنبر وظائف عديدة منها أنه يساهم فى إبراز المنطوق المهم ، ومنها التمييز بين الصيغ الصرفية ، وتحديد أنواع الجمل إنشائية كانت أم خبرية ويساهم فى عملية الإيقاع الشعرى.

مصطلح النبر

يتألف الكلام من مجموعة من الألفاظ وكل لفظة تتألف من أصوات متتابعة يقود أحدها إلى الآخر ، وهذه الأصوات فى الكلمة ليست بالقوة نفسها وإنما تتفاوت فيما بينها قوّة وضعفا ، بحسب الموقع الذى تقع فيه وأى إنسان حين ينطق بلغة يميل إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة وهذا الضغط اصطلح على تسميته بالنبر .

وتكاد غالبية تعريفات النبر عند المحدثين تتفق على أنّ النبر يقتضى طاقة زائدة أو جهدا إضافيا ، إذ نلحظ نشاطا فى جميع أعضاء النطق كما تقوى حركات الوترين الصوتيين[1] .

ويربط بعض الباحثين بين ظاهرة النبر وظاهرة الوضوح السمعى بل يجعلون الثانية غاية لحدوث الأولى ، منهم الدكتور رمضان عبد التواب يقول : " النبر هو الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليصبح بارزا وأوضح فى السمع

مما عداه من مقاطع الكلمة "[٢] .

وقريب من هذا ما ذكره الدكتور تمام حسّان ، حيث أشار إلى أن المقطع المنبور يكون أوضح فى السمع من غيره من مقاطع الكلمة[٣] ، أماالدكتور عبدالله الربيع فيجعل الضغط عاملا من عدة عوامل تساهم فى تحقيق النبر [٤]، فالضغط وحده لا يحدث نبرا فى حين يعدُّ كمال أبو ديب الضغط مرادفا لمصطلح النبر[٥]

ويجعل الدكتور عبد الصبور شاهين النبر وسيلة تُميز الناطق بلغة أو لهجة معينة عن غيره من الناطقين بلغة أو لهجة أخرى وهذا يعنى أن النبر يختلف حسب البيئة وطبيعة النطق .

أمّا الباحثون المستشرقون فلا تبتعد تعريفاتهم عما ذكره الباحثون العرب، فنجد برجشستراسر يتحدث عن النبر بقوله : « بعض المقاطع قوى كأنه يصاح به ، وبعضها ضعيف يهوى به وكل كلمة أحد مقاطعها أقوى من الباقى، فيكون هو المضغوط وصاحب ضغط الكلمة وكل جملة إحدى كلماتها أقوى من الباقى وتكون هى المضغوطة وصاحبت ضغط الجملة[٦] .

ويرى لاديفوجد أن المقطع المنبور يحتاج إلى نشاط زائد ، لأنه يتطلب اندفاع الهواء من الرئتين بصورة أقوى منهامع المقطع غير المنبور[٧] .

وذهب مالمبرج إلى أن المقاطع فى أية جملة منطوقة لا تنتج بنفس التوتر فبعضها أكثر ضعفا ، أى غير منبور وبعضها الآخر أكثر قوة أى منبور[٨] .

ويرى كانتينو أن النبر يعنى إشباع مقطع من المقاطع ، بأن تقوى إما ارتفاعه الموسيقى أو شدته ، أو مداه أو عدة عناصر من هذه العناصر فى الوقت

نفسه ، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر فى المقاطع المجاورة [٩].

فالنبر إذن عند علماء اللغة المحدثين عربا كانوا أم مستشرقين هو الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة ليصبح بارزا وواضحا فى السمع أكثر من غيره من مقاطع الكلمة ، وينتج عن ذلك علو الصوت المنبور وارتفاعه ولا يتم ذلك إلا من خلال بذل جهد عضلى واضح لأعضاء النطق المختلفة ، أما علماء العربية القدماء فقد استخدموا مصطلح النبر بالكلام يعنى الهمز ، والنبر مصدر نبر الحرف ينبرُه نبرا همزة ، والمنبورالمهموز ويقال : نبر الرجل نبرةً إذا تكلم كلمة فيها علو، وكل شئ رفع شيئا نبره[١٠] ، وقال ابن المؤدب : ويسمى نبرا لنبرك إياه إلى حنكك الأعلى ، والنبر الرفع[١١] .

وبهذا يكون مفهوم النبر عند علماء العربية القدماء يعنى علو الصوت وارتفاعه أو الهمز وهذان الأمران لا يتحققان فى النطق إلا من خلال الجهد العضلى الذى تبذله أعضاء جهاز النطق لإبراز هذا الصوت أكثر من غيره ، أو لنطق الهمزة ، التى يتم نطقها عن طريق إغلاق فتحة المزمار إغلاقا تاما ، ثم فتحها مفاجئا [١٢]، ويحتاج هذا إلى ضغط على مخرج الصوت حتى تخرج الهمزة بصورتها الحقيقية .

والذى نراه أن علماء العربية القدماء لا يختلفون كثيرا عن علماء اللغة المحدثين فى تحديد مصطلح النبر ، غير أنهم لم يشيروا فى دراساتهم إلى أن النبر يرتبط بالمقطع الصوتى وأنه الضغط على أحد المقاطع الصوتية ليكون أكثر وضوحا فى السمع من غيره من بقية المقاطع . وإنما ركزوا على الجانب الحسّى المدرك للنطق وهو علو الصوت وارتفاعه .

النبر فى العربية الفصحى :

اختلف علماء اللغة المحدثون ، عربا ومستشرقين حول وجود النبر فى العربية، والحقيقة أن علماء العربية القدماء لم يتعرضوا لمثل هذه المسألة بشكل واضح حتى سيبويه إمام النحاة لم يصفها بشئ ، مما جعل بعض الباحثين يستغرب مثل هذا الأمر ، فلم يدرس النبر عند النحاة الذين وصفوا لغتهم بدقة بالغة ، ولم تذكره كتب التجويد التى خاضت فى أدق القراءات القرآنية ولكن وردت إشارات عند بعض اللغويين العرب القدماء إلى هذا المصطلح كما أشرنا من قبل .

ولست أذكر هنا وجود من أشار إلى وجود النبر فى العربية القديمة ، فهذا بروكلمان يرى أن العربية القديمة عرفت نوعا من النبر تغلب عليه الموسيقية ويتوقف على كمية المقطع، وهو يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها[١٤] .

وينقل الدكتور رمضان عبد التواب نصا من كتاب الأحكام لابن حزم ، يستخلص منه أن أهل الأندلس كانوا ينبرون المقطع الأول من الكملة فى كثير من الأحيان [١٥]، فقد كانوا يقولون مثلا فى كلمة : العنب ،العينب ، وباعوضة ، فى بعُوضة وغيرها ، ويبدو أن المقصود بالنبر هنا تطويل الحركة ، وإذا ماعددنا النبر طاقة زائدة فى النطق للمقطع المنبور ،ووضوح سمعي لذلك المقطع ، ومُدة زمنية أطول لنطقه ، يكون ابن جنى قد أشار إليه فى الخصائص وسماه المطل[١٦].

ويظهر أن العربية عرفت لفظ النبر مرادفا للهمز بمعنى الضغط ، فقالت : نبر الحرف ينبره نبرا أى همزه ، وجاء فى الحديث جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : يانبئ الله "بالهمز" فقال عليه السلام لا تنبر باسمى" وفى رواية « إنا معشر قريش لا ننبر ».

وينقل المستشرق كانتينو رواية أخرى تؤكد هذا المعنى ، مفادها أن المهدى عندما حج قدّم الكسائى يصلى بالناس فى المدينة ، فهمز فأنكر أهل المدينة عليه ذلك ، وقالوا : تنبر فى مسجد رسول الله بالقرآن [١٧]؟

ومهما يكن من الأمر فإن غالبية الباحثين لا يؤيدون وجود النبر – بمعناه الدقيق فى العربية الفصحى ، وإذا كان التنغيم قد أدرك إجمالا عند القدامى ، مما جعلهم يتركون دلالات نحوية تبنى عليه ، فإن النبر كان غامض الإحساس لديهم ، اللهم إلا حديثا عن صوت الهمزة وتسميته نبرا[١٨] .

يؤكد هذا ما رواه المستشرق برجشتراسر، حيث قال إن اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها و مدّها ، وهذا يكاد يكون نادرا فى العربية ، غير أن الدكتور رمضان عبد التواب أخذ على برجشتراسر أنه أغفل التطور اللغوى ، وتأثر الشعوب المختلفة التى غزتها العربية بعاداتها القديمة فى النبر، وأثر ذلك فى اختلاف موضعه من الكلمة.[٢١]

ويشارك المستشرق هنرى فليش كانتينو نظرة الاستغراب لعدم معرفة العربية النبر ، فقد كانت مصطلحات النحويين والبلاغيين وافرة غزيرة ، إلا أن نبر الكلمة كانت فكرة مجهولة لديهم، ليس هذا فحسب بل إن نبر الكلمة فى العربية لم يؤد أى دور فى علم العروض ، وهو القائم على مجموعة من المقاطع الطويلة والقصيرة المحددة !![٢٢]

ويظهر أن غياب معرفتنا بكيفية نطق العربية فى عصور الاحتجاج اللغوى ، وعدم معرفتنا بكيفية إنشاد الشعر فى تلك الفترة ، هو الذى أدى إلى صعوبة الحكم بوجود النبر فى العربية ، ولا سيما أن دراسة النبر تقوم على سماع اللغة،

ونتيجة لذلك عد بعض الباحثين دراسة النبر فى العربية الفصحى مجازفة كبيرة ، ذلك لأن العربية لم تعرف هذه الدراسة فى قديمها ولم يسجل لنا القدماء عنها شيئا .

وأغلب الظن أن ما ننسبه للعربية الفصحى فى هذا المقام ، إنما يقع تحت لهجاتنا العامية ، لأن كل متكلم بالعربية الفصحى فى أيامنا يفرض عليها من عاداته النطقية الشيئ الكثير والقارئ يعلم أن القرآن الكريم نفسه يختلف نطقا ونبرا وتنغيما من بلد عربى إلى آخر اختلافا يعبر عن نسبة التباين فى هذه اللهجات بين البلاد العربية ، بل إن النبر قد يختلف من بيئة إلى بيئة فى البلد الواحد .

أما النبر عند من حاول دراسته فى الشعر ، فلا يختلف عندهم عن سابقيهم، فمنهم من قال إن دراسة النبر الشعرى أمر مستحيل ، نظرا لغياب تحديد تام للنبر اللغوى ، ولا أنكر أن من الباحثين من قال إن مجرد معرفتنا بوجود النبر اللغوى بحد ذاتها[٢٣] ، تساعد على مناقشة النبر الشعرى ، ودراسة النبر الشعرى ذاتها قد تساعد على فهم كثير من خصائص النبر اللغوى ، عن طريق الاستنتاج وتحليل الأمثلة والقياس [٢٤]، ولكن سرعان ما يعترف صاحب هذا الرأى بأنه يستحيل علينا أن ندرس النبر اللغوى كما وقع فى العربية قبل هذا القرن ، إلا إذا افترضنا أن النبر لم يتغير إطلاقا كذلك يستحيل علينا أن ندرس النبر الشعرى كما تجلى فى إلقاء العرب للشعر قبل هذا القرن[٢٥] .

ولعل البداية السليمة لدراسة النبر تكون من اللغة العربية كما هى الآن، لأنه كما قلنا يعتمد على سماع اللغة من الآخرين وهؤلاء بدورهم يختلفون فى نطق

اللغة وأدائها من منطقة إلى أخرى ، أما أن نحاول تحديد مواضع النبر فى العربية الفصحى فهذا فى رأيى يُعد مجازفة كبيرة كما ذكر الدكتور تمام حسان.

مواضع النبـــر

يرتبط النبر بالمقطع ، باعتباره أقل الوحدات الصوتية التى يمكن للنبر أن يتحقق فيها ، ولا بد قبل أن نشرع فى الحديث عن مواضع النبر من عرض سريع لأنواع المقاطع فى العربية ، فقد اتفق الباحثون المحدثون على أن المقطع الصوتى هو تتابعات من السواكن والعلل ، ويكاد جمهورهم يتفق على وجود خمسة أنواع للمقطع هى :

أولا : المقطع القصير المفتوح ويتكون من صوت صامت وحركة قصيرة ، نحو ب، بُ.

ثانيا : المقطع الطويل المفتوح ويتكون من صوت صامت وحركة طويلة ، نحو با ، بو .

ثالثا : المقطع القصير المغلق ويتكون من صامتين بينهما حركة قصيرة نحو : مِنْ.

رابعا : المقطع الطويل المغلق ويتكون من صامتين بينهما حركة طويلة نحو:باب، وهذا النوع لا يظهر إلا فى حالة الوقف .

خامسا : المقطع الطويل المغلق بصامتين ويتكون من صامت وحركة قصيرة ثم صامتين مثل ، بِنْتْ ، هِنْدْ، ولا يظهر هذا إلا فى حالة الوقف أيضا .

وقد أضاف الدكتور تمام حسان مقطعا سادسا يتكون من حركة قصيرة

وصامت ، يتمثل فى (ال) التعريف [٢٧]، حيث عد ألف الوصل حركة مع أنها صوت صامت كهمزة القطع، ولام التعريف مع همزة الوصل فى بداية الكلام يشكلان مقطعا قصيرا مغلقا بصامت مثل : منْ ، وعنْ وغيرهما ، أما فى وسط الكلام فتسقط همزة الوصل ، وتشكل اللام مع ما قبل الألف مقطعا قصيرا مغلقا بصامت ، من هنا نستطيع القول إنه لا يوجد فى العربية إلا خمسة مقاطع والرابع والخامس منها مرفوضان فى حالة الوصل .

وقد حاول بعض الباحثين المحدثين تحديد مواضع النبر فى العربية كما يسمعونها ، وبناء على تجاربهم الخاصة ، ويظهر لى أن القواعد التى وضعها الدكتور إبراهيم أنيس قد أثّرت على دراسات غيره فاستفادوا منها ، وقد أشار أنيس إلى أن هذه القواعد وضعت وفق ما يلتزمه مجيدو القراءات القرآنية فى مصر.[٢٨]

ولمعرفة مواضع النبر ينظر أولا إلى المقطع الأخير ، فإذا كان من النوعين الرابع أو الخامس كان هو موضع النبر ، وإلا نُظر إلى المقطع الذى قبل الأخير، فإن كان من النوع الثانى أو الثالث حكمنا بأنه موضع النبر ، أما إذا كان من النوع الأول نظرنا إلى ما قبله فإن كان مثله أى من النوع الأول أيضا كان النبر على المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة.

ولكن هذا التقسيم لا يمكن أن يعمم فى العربية ، فهو ينصرف ليبين قواعد النبر فى بيئة معينة ، وفى زمان بعينه ، وقد نص الدكتور إبراهيم أنيس على ذلك، أما أن يأتى باحث ويحاول تطبيق تلك القواعد على نصوص قديمة، فهذا غير مقبول وعلى هذا الأساس يستغرب سعد مصلوح قائلا : « أما البأس كل

البأس ففى أن تعتمد هذه القواعد لتحديد مواضع النبر فى أبيات لطرفة وأبى فراس ، ففى ذلك تعميم بلا مسوغ». (٢٩)

وقد جاء حديث مصلوح هنا فى سياق نقده لكتاب الدكتور كمال أبوديب «فى البنية الايقاعية للشعر العربى ». وكان هدف أبى ديب من تطبيقه لقواعد أنيس على بيتين لطرفة ولأبى فراس – أن يبين عدم انطباق هذه القواعد على شعر العرب القدماء ، وينشغل ذهن مصلوح بتحديد مفهوم «الكلمة» التى ذكرها أنيس حين حدد مواضع النبر ، أهو الكلمة بالمفهوم النحوى ؟ وبذلك تكون اللام والكاف والباء التى للجر كلمات ، أم هو الكلمة بمفهومها المعجمى ؟ وإن كان كذلك ، فما مكان الزوائد وحروف المعانى فى هذا التصنيف(٣٠) ؟

وأعتقد أن الدكتور عبد الله الربيع قد بين معنى الكلمة فى حديثه عن نبر الكملة حيث قال : « والمقصود بالكلمة هنا هو الكلمة الصوتية التى هى عبارة عن مجموعة من الأصوات ذات معنى تنطبق معا ، ليس بينها فاصل صوتى أكبر من الفاصل الذى بين المقاطع» (٣١).

أما عن تحديد المستشرقين لمواضع النبر فقد أشار كانتينو إلى رأى الأوربيين الذين ألفوا فى النحو العربى ، فالنبرة عندهم تقع على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها وأن خلت الكملة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول فيها ثم إن النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الأخرة وذلك نحو يقاتلوا ، قاتلوا ، لم يقاتلوا ، النبرة فيها جميعا على (قا) .

ويمكن لنا أن نقول إن النبر إما أن يكون استهلاليا ، أى على المقطع الأول من الكلمة ، أو يكون وسطيا ليس على المقطع الأول ولا الأخير ، أو يكون موقعا

ختاميا على المقطع الأخير ، وكل مقطع فى الكلمة يأخذ حقه من النبر ، ولكن الكلمة تحتوى على مقطع واحد أشد نبرا من غيره ، فلو أخذنا كلمة «مستحيل» نجد أن النبر الأقوى على المقطع الأخير (حيل) والمتوسط على الأول (مس) والنبر الضعيف على المقطع الثانى (ت) وهكذا فى غالبية الكلمات وقد حاول بعض الباحثين أن يفصل فى مواضع النبر التى وضعها الدكتور إبراهيم أنيس ، ومن هؤلاء الدكتور تمام حسان ، والدكتور عبد الله ربيع وغيرهم.[٣٢]

هذا بالنسبة لنظام النبر فى النطق المصرى ، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن النبر ينتقل من مقطع لآخر فى الكلمة الواحدة ، وهذا الانتقال يعتمد على لهجة الناطق وطبيعة المادة المنطوقة ، من هنا لا نستغرب أن تظهر قواعد جديدة لمواضع النبر فى العربية لأن كل باحث منهم يطبق النبر على فئة خاصة ، لها لهجتها الخاصة .

نبر الجملة

حين ينطق المتكلم بالجملة يعمد أحيانا إلى كلمة من جملته ، فيزيد من نبرها ويميزها عن غيرها ، بمعنى أن المتكلم يوزع درجات النبر على أجزاء الجملة ، تبعا لأهميتها عند المتكلم ولطبيعة الجملة ونوعها ، بحيث يكون لكل جملة قالبها النبرى الخاص[٣٤] .

فلو أخذنا مثلا جملة : ضربَ زيد أخاك ، فإن النبر يختلف باختلاف غرض المتكلم ؛ فإذا أردنا أن يؤكد على الضرب جعل النبر على ضرب وإن أراد أن يبين من الضارب نبر كلمة (زيد) ، أما إن كان غرضه التأكيد على المضروب فالنبر يكون على كلمة (أخاك) .

والسؤال هنا هل تحتفظ الكلمة بنبرتها الأساسية حين تكون مفردة بعد وضعها فى سياق الجملة ؟، والجواب هو أن الكلمات بعد وضعها فى الجمل تصبح مجرد وحدات صغيرة ، تماما كالمقاطع فى الكلمة المفردة ، والذى يحدث هو زيادة النبر فى الكلمة حين توضع فى جملة ، فكلمة (ضرب) فى الجملة السابقة المقطع المنبور فيها هو (ض) ، فإذا أردنا أن نركز عليها فى الجملة زدنا قوة النبر على المقطع نفسه ، وكذلك الحال فى باقى الكلمات.

وأحيانا قد تنطق الجملة كوحدة صوتية واحدة ، فتأخذ كلها نبرة رئيسية واحدة ، وبذلك تخسر الكلمات نبراتها الأساسية لصالح الجملة [٣٥].

وظائف النبر

أولا : على المستوى النحوى :

يقوم النبر على المستوى النحوى بوظائف عديدة أهمها : الربط بين أجزاء الجملة أو المنطوق والدلالة على الأهمية النسبية لأجزاء الكلام ، كما يرتبط دور النبر بأساليب العربية كالاستفهام والأمر والإخبار ، والإغراء ، والتحذير والاختصاص وغيرها .

وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أن العربية لا تعطى النبر معنى وظيفيا فى الصفة أو فى الكلمة ، ولكنها تمنحه معنى وظيفيا فى الكلام [٣٦]، أى فى معنى الجملة ، ويتضح ذلك إذا قارنا بين نطق جملتين مثل :

اذكر الله واذكرى الله

فالمعروف هنا أن هذا الموقع من المواقع التى تفقد فيها الياء كمينها ، فتصبح بمقدار الكسرة فى الكلام ، مثلها فى ذلك مثل الياء فى عبارة (القاضى

الفاضل) ، ومن هنا تصبح أحوال الأصوات فى الجملتين واحدة ، وتصبح فرصة اللبس سائحة بينها فلا يعرف السامع ما إذا كان المخاطب يخاطب رجلا أو امرأة ، هنا يتدخل النبر فيفرق بين الإسنادين ، فيكون فى الجملة الأولى على مقطع همزة الوصل ، ويكون فى الجملة الثانية على مقطع الكاف ، ليدلل على طول الياء لأن النبر يقع على ما قبل الآخر إذا كان المقطع الأخير متوسطا وما قبل الأخير قصيرا .

فيكون النبر هنا ذا وظيفة تشبه وظيفة حركة الدليل على المحذوف فى نحو : تسعون ، حيث تدل الفتحة على ألف سعى المحذوفة [٣٧]، ويمكن أن توضع جملة واحدة فى مجال الإخبار مرة ، وفى مجال الاستفهام مرة أخرى ، حيث يقوم النبر هنا بوظيفة أداة الاستفهام المحذوفة ، فحين يقول قائل : جاء محمد مخبرا يختلف فى حالة السؤال فنجده يضغط على مقاطع الجملة ، فتنتقل الجملة من الإخبار إلى الاستفهام ، وقد يتطلب السياق الاستعمالى أحيانا بعض الظواهر الموقعية ، مثل هاء السكت والإشباع وألف الندبة وغيرها ، والسياق هنا يحرص على إظهار موسيقى اللغة بحفظ المسافات المتساوية أو المتناسبة بين مواقع النبر ، مما يعطى اللغة وموسيقاها الخاصة التى تعرف بها بين اللغات[٣٨] .

ونلمح هنا ارتباطا وثيقا بين النبر والتنغيم حيث يساهم النبر فى تنويع التنغيم فى المستوى الصوتى[٣٩] ، وبالتالى يتمكن التنغيم من أداء دوره فى التعبير عن عواطف المتكلم وانفعالاته ويميز به بين الأساليب النحوية المختلفة .

ثانيا : على المستوى الصرفى :

يؤثر النبر فى بنية الكلمة العربية ، فيفرق بين صيغة الاسم والفعل فعندما

نقول : أسد بالنبر على المقطع الأول ، تكون الكلمة من باب الأسماء وعندما نقول : أسد بالنبر على المقطع الأخير ، تنتقل الكلمة إلى باب الفعلية ، وهذا يعنى أن تغير موضع النبر فى الكلام يؤثر فى صيغ الكلمات .

ويساهم النبر أيضا فى سقوط بعض اصواتها ، أو طول الحركات ، وما إلى ذلك فمثلا من طبيعة العربية الفصحى أن تقصر الحركة الطويلة فى المقطع المفتوح ، إذا كان يسبق مقطعا أخر منبورا ذا حركة طويلة [٤٠]. فأصل مصدر فاعل فى العربية القديمة هو : فيعال ، بنبر المقطع الثانى ، وقد ترتب على ذلك خلو المقطع الأول من النبر أن قصرت حركته فصار المصدر "فعال".

يقول المبرد :« ويجئ فى فاعل الفعال نحو قاتلته قِتالا ، ورميته رِماء ، وكان الأصل فيعالا ، لأن فاعلت على وزن أفعلت وفعللت ، لكن الياء محذوفة من فيعال استخفافا ، وإن جاء بها جاء فمصيب » [٤١].

وعلى العكس من ذلك بقيت تلك الحركة طويلة فى : دينار وميعاد وميزان فى المقطع الأول ، لوجود نبر ثانوى على هذا المقطع، وقد زال النبر فى بعض اللهجات الحديثة ،فقصرت الحركة وأصبحنا نقول : دِنار ومِعاد[٤٢] .

ويؤثر وجود النبر أحيانا فى سقوط الحركات من المقاطع التالية للنبر ، فقد دلّت الملاحظة مثلا على أنه إذا توالى فى اللغات السامية مقطعان قصيران، أولهما منبور فإن حركة المقطع الثانى تسقط فى الكلام ففى العربية مثلا يُقال كثيرا : وهوَ بدلا من : وهُوَ، ومعه بدلا من مَعَهُ.

كما أن بعضهم يُفسر سقوط الواو فى مثال : وعدَ يعدُ أن العرب تميل إلى النبر على المقطع الأول : فسقطت الواو كى يتسنى لها هذا[٤٣] .

من هنا كان النبر على مستوى الصيغة والكلمة ذا وظيفة صرفية هى تقديم القيم الخلافية التى تفرق مع الكمية بين معنى صرفى ومعنى صرفى آخر ، ويمكن بواسطتها أن نفرق بين طوائف من الصيغ مثل : فَعِل وفعُل وفاعل وفعيل ، حيث يفرق بين الثلاث الأولى والرابعة بالنبر ، فيقع النبر فى الكلمات الثلاث الأولى على المقطع الأول ، وفى الرابعة على الثانى[٤٤] .

كما يميز به بين صيغ الأسماء والأفعال .

ثالثا : على المستوى العروضى :

حاول بعض الباحثين المحدثين أن يطبق نظام النبر على النصوص الشعرية ، ومن هؤلاء الدكتور محمد مندور ، والدكتور كمال أبوديب والدكتور شكرى عياد وغيرهم ، وقد أثبت هؤلاء أن الايقاع الشعرى يقوم على أساسين مهمين هما الكم الزمنى والنبر .[٤٥]

فالايقاع الشعرى قائم أنساق منتظمة ذات نسب متميزة ويشترط فيها أن تشكل أنموذج نبر مقبولا تشكل نموذجا نبريا مقبولا ، مشروطا بدخول مجموعة من الكلمات فى علاقة تتابعية يقع فيها النبر فى مواقع منتظمة ، يشكل مجموعها نسقا إيقاعيا ذا هوية واضحة ومثال ذلك الايقاع الشعرى الذى ينشأ من دخول الكلمات التالية فى تتابع مواضع النبر (كتاب ، جميل ، بديع ، مفيد)[٤٦] .

ويشير الدكتور شكرى عياد إلى أن ظهور النبر فى الشعر ، هو الذى يؤدى إلى أن تتميز بعض المقاطع عن بعض بالشدّة أو اللين ، أو الارتفاع والانخفاض واختلاف درجة الصوت يترتب عليها اختلاف المقاطع حدّة وغلظا ، بل إن النبر بنوعيه نبر الشدّة ونبر العلو له صلة بطول المقطع[٤٧].

من هنا نرى أن النبر يساهم مساهمة فاعلة فى مجال الشعر باعتباره أساسا مهما من الأسس التى يقوم عليها الايقاع الشعرى ، كما يترتب على وجود النبر اختلاف فى إيقاع الكلمات ، فبعضها يكون حادا، وبعضها يكون غليظا.كما يقوم النبر بوظائف أخرى كالمساهة فى إشراق الكلمة ووضوحها ، وأداء بعض الوظائف التعبيرية كالتعبير عن الغضب والفرح وما يتصل بهما.

ونخلص مما سبق إلى القول بأن النبر يمثل ظاهرة مهمة من ظواهر العربية، وإن كان يعتمد بالدرجة الأولى على اللغة المنطوقة ، ولا شك أن العربية عرفت الظاهرة فى نطق أبنائها قديما ، لكن القدماء لم يشيروا إلى هذه الظاهرة باعتبارها غير مضبوطة بقواعد غالبا ، حيث تختلف من بيئة إلى أخرى ، وقد تختلف من متكلم إلى أخر فى بيئة واحدة .

وتظهر وظيفة النبر فى سياق الجمل بشكل واضح ، فمن غير المعقول أن يقوم المتكلم بجهد إضافى لنطق كلمة معينة دون فائدة ، فهذا الجهد والضغط يمثلان إشارة بين المتكلم والسامع على أهمية المنطوق .

أما النبر فى الكلمة المفردة فلا تتعدى وظيفته التمييز بين الصيغ المختلفة على المستوى الصرفى ، وقد لا يكون للنبر وظيفة فى الكلمة المفردة ، فالمتكلم تعوّد أن ينطق كلمة بصورة معينة فيجئ النبر على مقطع معين دون قصد من المتكلم .

ويسهم النبر فى تحديد وتنظيم الايقاع الشعرى الذى يعد ركيزة أساسية فى علم العروض العربى ، إذ يفسح المجال للشاعر بتنويع الايقاع ، وإحداث التأثير الذى يريده بإيقاع التوافق والتنافر بين عدد العناصر التى تؤلف موسيقا

الشعر .

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة النبر فى العربية ، ولذلك تناولت الدراسة مفهوم النبر عند علماء اللغة المحدثين والقدماء ، وموقف علماء اللغة من وجود النبر فى العربية القديمة ، ثم تعرضت لتحديد مواقع النبر وأنواعه ، ووظائفه على المستوى النحوى والصرفى ، والعروضى فى العربية .

وتوصلت الدراسة إلى أن مفهوم النبر عند علماء اللغة القدماء لا يختلف كثيرا عنه عند علماء اللغة المحدثين ، أما تحديد مواضع النبر فى العربية القديمة فهو أمر ليس باليسير ، لأن هذه المسألة تعتمد على المنطوق من الكلام ، وأظهرت الدراسة أن النبر يساهم فى تحديد التركيب النحوى سواء أكان للاخبار أم للطلب أم للانفعال ، كما أنه يساهم فى تحديد البنية الصرفية سواء أكانت اسما أم فعلا أم صفة ، وأنه يساعد على تنظيم الايقاع فى الشعر العربى وتحديد الوزن العروضى الذى يقوم عليه .

Abstract

This paper aims at studying stress in Arbic as understood by classical and modern linguists .

The study also indicated the position of linguists in connection with occurrence of stress in old Arabic, its position and types, and its functions at the syntactic, morophlogical, and its prosodic levels in modern

Arabic.

The study concludes that classical linguists understanding of stress is not different from that of modern linguists.

The study also indicated that stress contributes to delimiting the syntacitc structures wherther they are used for informing of requesting or for expressing emotional feelings. Morever stress or an adjective ,stress also helps in organizing rythm in Arabic poetry and in limiting prosodatic metric that depends onit.

الهوامش

١ – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط١، ١٩٧٩، ص ١٦٩.

٢ – رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى ، قوانينه وعلله ، مكتبة الخانجى ، ط١، (د.ت) ص٨٧.

٣– تمام حسن ن ، اللغة العربية ، معناها ومبناها– الهيئة المصرية للكتاب ط٢، ١٩٧٩، ص١٧

٤ – عبد الله الربيع وأخرون : علم الصوتيات ، مكتبة الطالب الجامعى ، ط١، ص٢٧٣.

٥ – كمال أبوديب ،البنية الايقاعية للشعر العربى ، دار العلم للملايين ، ط١

،بيروت ، ١٩٧٢، ص٢٢.

٦ – برجشستراسر ، التطور النحوى للغة العربية ، ترجمة رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٢، ص ٧١ ،٧٢.

٧ – Peter ladefoged, A. Course in phonetics , Harcout Brace Janovich, Inc,1982 , Second edition,p. 104.

٨– برتيل مالمبرج ، علم الأصوات ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص ١٨٨.

٩ – جان كانتينو ، دروس فى علم أصوات العربية ، ترجمة صالح القرمادى، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ١٩٦٦، ص ١٩٤.

١٠– ابن منظور. لسان العرب ، صورة مصورة عن طبعة بولاق ، «نبر» ٣٩/٧–٤٠.

١١– ابن المؤدب ، دقائق التصريف ، تحقيق الدكتور أحمد ناجى القيسى و آخرين ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٧، ص ٤١٧.

١٢– أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٣ ،١٩٨٥، ص٢٧١.

١٣– انظر، جان كانتينو ، دروس فى علم أصوات العربية .

١٤– كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية ، نقله إلى العربية رمضان عبد التواب،

جامعة الرياض ، (د.ت) ص ٤٥.

١٥- رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى ، ص٩٠.

١٦- ابن جنى ، أبو الفتح عثمان «ت٣٩٢» الخصائص تحقيق محمد النجار ، دار المهدى للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت) ، ج٢، ص٣١٥.

١٧- جان كانتينو ،دروس فى علم أصوات العربية ، ١٩٩.

١٨- أحمد كشك ، من وظائف الصوت اللغوى ، ط١، القاهرة ،١٩٨٣، ص١١٧.

١٩- براجشستراسر ، التطور النحوى للغة العربية ، ص ٤٦.

٢٠- رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى ، ص٨٨.

٢١- هنرى فليش، العربية الفصحى ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ، بيروت ١٩٦٦، ص ١٥٣.

٢٢- انظر ، تمام حسان ، مناهج البحث فى اللغة ، ط ١ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥، ص ١٦٤.

٢٣- شكرى عياد، موسيقى الشعر ، دار المعرفة ، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧، ص٤٠.

٢٤- كمال أبو ديب فى البنية الايقاعية للشعر العربى ، ص٢٩٠.

٢٥- المرجع السابق ، ص ٢٩.

٢٦- انظر ، ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ،١٦٣، وعبد الله ربيع ، علم الصوتيات ، ٢٣٤، وأحمد كشك ، من وظائف الصوت اللغوى،١١٩.

٢٧- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٦٩.

٢٨- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ١٧١

٢٩- سعد مصلوح ، دراسات نقدية في اللسانيات ، ط١، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٩، ص١٨٠.

٣٠- ———— ، دراسات نقدية في اللسانيات ، ص١٨٠.

٣١- عبد الله الربيع ، علم الصوتيات ، ٢٦٧.

٣٢- كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية ، ص ١٩٤-١٩٥

٣٣- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٧٢-١٧٤ ، عبد الله ربيع ، علم الصوتيات ، ص ٢٨٠-٢٨٤.

٣٤- عبد الله الربيع ، علم الصوتيات ، ص ٢٧٧.

٣٥- محمد الخولى ، الأصوات اللغوية ، ط١، مكتبة الخريجى ، الرياض ، ١٩٨٧، ص١٦٥.

٣٦- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٠٨.

٣٧ - المرجع السابق ، ص٣٠٩.

٣٨- المرجع السابق ، ص ٣٠٦.

٣٩- عبد الله الربيع ، علم الصوتيات ، ص ٢٧٩.

٤٠- رمضان عبد التواب ،التطوراللغوى ، ص٨٩.

٤١- المبرد ،أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) المقتضب ، تحقيق محمد عبد

الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث ، القاهرة ، ١٩٦٨، ج٢، ص٢٠٠.

٤٢- رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى ، ص٩٠.

٤٣- غالب المطلبى ، فى الأصوات اللغوية ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٤.

٤٤- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ،ص ١٧١.

٤٥- عبد الله الربيع ، علم الصوتيات ، ص ٢٧٩.

٤٦ -كمال أبوديب ، فى البنية الايقاعية للشعر العربى ،ص٢٢٢.

٤٧- موسيقى الشعر العربى ، ص٤١. وانظر ، محمد عبد الغنى المصرى ، اللغة العربية ، ط١ ، دار المستقبل للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٨، ص٥٣-٥٤.

المراجـــع

- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٩.

- ابن جنى ، ابو الفتح عثمان ، (ت٣٩٢هـ) الخصائص ،تحقيق محمد النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت).

- ابن منظور ، لسان العرب ،صورة عن طبعة بولاق ، دار صادر ،بيروت.

- ابن المؤدب ،دقائق التصريف ، تحقيق الدكتور ، أحمد ناجى القيسى وآخرين، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، ١٩٨٧.

- أحمد كشك ، من وظائف الصوت اللغوى ، ط١، القاهرة ١٩٨٣.

- أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٥.

- بواجشستراسر ، التطور النحوى للغة العربية ، ترجمة رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٨٢.

- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٩٧٩.

- ————، مناهج البحث فى اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٥.

- رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى قوانينه وعلله ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة ، ١٩٨٣.

- سعد مصلوح ، دراسات نقدية فى اللسانيات ، عالم الكتب ، ط١، القاهرة، ١٩٧٩.

- شكرى عياد ، موسيقى الشعر ، دار المعرفة ، ط٢ ، القاهرة ١٩٧٨.

- عبد الصبور شاهين فى علم اللغة العام ، مؤسسة الرسالة ، ط٣، بيروت ، ١٩٨٠.

- عبد الله الربيع وآخرون ، علم الصوتيات ، مكتبة الطالب الجامعى ، ط١. السعودية ، ١٩٨٨.

- غالب مطلبى ، فى الأصوات اللغوية ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٤.

- كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، نقله إلى العربية رمضان عبد التواب ، جامعة الرياض ، (د.ت).

- كانتينو ، دروس فى علم أصوات اللربية ، ترجمة صالح القرمادى ، الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والبحوث ، ط١، ١٩٦٦.

- كمال أبوديب فى البنية الايقاعية للشعر العربى ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط١، ١٩٧٢.

- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) المقتضب ، تحقيق محمد عبدالخالق عظيمة ، لجنة إحياء التراث ، القاهرة ، ١٩٨٦م.

- محمد الخولى ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الخريجى ، الرياض ، ط١، ١٩٨٧.

- محمد المصرى ، اللغة العربية ، دار المستقبل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١، ١٩٨٨م.

- Peter Ladefoged , Acourse in Phonetics & Harcourt Brace Janovich, Inc. Second Edition , 1982.